The Ethical Challenges of Artificial Intelligence [#]
A theoretical philosophical approach

SAMIR FARIDI [(1)*]

(1) Researcher, Professor of Islamic Thought and Philosophy - Hassan II University

Received: 1/2/2026
Accepted: 10/5/2026
Published: 23/7/2026

* *Corresponding Author:*
samirfaridi@hotmail.com

DOI:
https://doi.org/10.59759/law.v5i2.1968

Abstract

The research aspires to draw the features of an ethical map to guide the compass of artificial intelligence, based on two main goals. The first goal is to emphasize the importance of applied ethics in framing the current outcomes and future expectations of artificial intelligence, by establishing ethics that frame the task of the developer, programmer, and user, individuals and institutions alike. Whether, and this is what made the research read in the most important international and Arab ethical legal frameworks, and awareness of the dilemmas of philosophy in the time of the digital revolution, the second goal comes to examine the possibility of transferring human morals to smart machines, or what the research called "ethical technology, In order to reach a more pure artificial intelligence, to avoid any adverse effects on humanity after the expansion of electronic geography, so conjuring up future dimensions was a focused concern within the folds of research to explore the ethical issues of artificial intelligence and to know its benefits, its negatives, and the path towards which it is heading.

Keywords : Applied Ethics - Artificial Intelligence - Ethical Technology - Digital Ethics – Science Fiction.

[#] A special issue for the Third International Conference, entitled: **Artificial Intelligence, A Legal Vision Towards a Sustainable Future**.

التحديات الأخلاقية للذكاء الاصطناعي
مقاربة نظرية فلسفة

سمير فريدي[1]

(1) باحث، أستاذ الفكر الإسلامي والفلسفة – جامعة الحسن الثاني

ملخص

يطمح البحث إلى رسم معالم خارطة أخلاقية لتوجيه بوصلة الذكاء الاصطناعي، وذلك انطلاقا من هدفين رئيسين، يتمثل الهدف الأول في التأكيد على أهمية الأخلاق التطبيقية في تأطير الإفرازات الحالية والتوقعات المستقبلية للذكاء الاصطناعي، من خلال وضع أخلاقيات تؤطر مَهمة المُطَوِّر والمُبرمج والمستخدم، أفرادا ومؤسسات على حد سواء، وهو ما جعل البحث يقوم بقراءة في أهم الأطر القانونية الأخلاقية الدولية والعربية، ووعيا بمعضلات الفلسفة في زمن الثورة الرقمية، يأتي الهدف الثاني لبحث إمكانية نقل الأخلاق الإنسانية إلى الآلات الذكية، أو ما سماه البحث بـ "التقنية التقية"، من أجل الوصول إلى ذكاء اصطناعي أكثر طهرا، تجنبا لأي آثار عكسية ضد الإنسانية بعد توسع الجغرافيا الإلكترونية، لذا كان استحضار الأبعاد المستقبلية هاجسا مركوزا في ثنايا البحث لخلخة القضايا الأخلاقية للذكاء الاصطناعي وما له وما عليه وما إليه.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق التطبيقية – الذكاء الاصطناعي – التقنية التقية – الأخلاق الرقمية – الخيال العلمي

□

المقدمة.

يُعد الاهتمام بالمسألة الأخلاقية في السياق التكنولوجي المعاصر ضرورة آنية، لما لها من أهمية في مسايرة ثورة العلم والتحديات الكونية المعولمة، بما يجعل فلسفة الأخلاق تحل محل الفلسفة الأولى؛ وهذا الإنزال ليس من قبيل الترف الفكري أو التنظير الفلسفي غير المرتبط بالواقع العملي، وإنما يأتي لتوجيه الإنسان، وتسديد سلوكه، وتقويم تفكيره مع كل تطور علمي تقني يظهر، وإن كان الأمر قد ازداد أهمية مع انفجار الثورة الرقمية، التي مكنت من تحويل نماذج من الخيال العلمي إلى حقائق واقعية. ولئن كان بالإمكان تسديد التفكير الإنساني، فإنه يبقى السؤال مطروحا حول إمكان تسديد التفكير الآلي، أو قل ضبط الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence) أخلاقيا، ولعل أبرز فرع في فلسفة الأخلاق يمكنه أن يخوض غمار هذا النقاش حول مسألة الذكاء الاصطناعي هو فرع الأخلاق التطبيقية (Applied ethics) ، التي تتولى معالجة التطبيقات العملية للاعتبارات الأخلاقية في مختلف مجالات الحياة، كالبيئة والإعلام، والصحة، والتكنولوجيا، بما فيها الذكاء الاصطناعي، ثم تحديد الموقف القويم لمختلف المعضلات الأخلاقية التي تطرحها، بوصفها موضوعا عابرا للمهن والتخصصات، وذلك لأن التساؤل يبقى مفتوحا فيما إذا كان بإمكان المفاهيم الأخلاقية التقليدية أن تواكب السرعة الهائلة التي تسير وفقها التقانة.

لكن وجهة نظر المطورين والمهندسين التقنيين لا تأبه كثيرا بتلك النقاشات الفلسفية التي تقارب رزنامة المفاهيم المرتبطة بالذكاء الاصطناعي من قبيل: الذكاء، والفهم، والإدراك، والتفكير، والوعي... رغم أهمية الإشكالات التي قد تنطوي تحتها، حيث ينصب كل تركيزهم على مخرجات الذكاء الاصطناعي وما أفرزته الآلة من قدرات تحاكي أو تفوق القدرات الإنسانية الطبيعية. إن تحرير هذه المفاهيم على نحو يخلخل أبعادها ويستكنه آفاقها من شأنه أن يساعد في بلورة الخطاب الأخلاقي على المستوى التكنولوجي، إذ المطور التقني يغفل في كثير من الأحيان تحديد المآلات والمسؤوليات والتبعات القانونية التي قد تنجم عن الآلات الذكية، وهو ما يتيح للناظر في فلسفة الذكاء الاصطناعي خوض غمار تأسيس خطاب أخلاقي مستبصر يُقوِّم وجهة الإنسان لكيلا يقضي على إنسانيته، أو قل أخلاقيته، بوصفها المؤسسة لإنسانيته.

إن العلاقة بين الأنا والآخر، أو بتعبير الثورة الصناعية الأنا والآلة، أفضى إلى تحول جذري في اهتمامات السؤال الأخلاقي المعاصر من حيث العلاقة الأنطولوجية "Ontology" والأكسيولوجية "Axiology" بين الإنسان والآلة، وهو ما يستوجب تأسيس منطلقات الذكاء

الاصطناعي وتوجهاته على خلفيات إيتيقية إنسانية حتى لا ينزاح عن دائرة الإمساك البشري، إذ الملاحظ أنه بالموازاة مع تقدم العلوم والفنون تجنح الأخلاق الإنسانية إلى التلاشي والتبدد، ولنقلها من حالة التبدد إلى حالة التمدد يستلزم جعل الحوار –أو قل التواصل– بين الإنسان والآلة ضرورة ملحة، إذا ما أراد الإنسان أن يحافظ على إنسانيته، مما يستوجب تكسير حواجز العزلة لاقتحام هذه العقبة التكنولوجية، وهو ما يُقِرُّ بضرورة عدم إهمال الموجود بالتركيز فقط على الوجود، وذلك لا يتأتى إلا بثورة أخلاقية لكي يحل المبحث القيمي قلب الاهتمام ومحور منطلقات التفكير، أي أن تكون الأكسيولوجيا هي المؤسسة للأسئلة الأنطولوجية والابستمولوجية على وجه الخصوص، ومن ثم تصبح خوارزميات الذكاء الاصطناعي محط اهتمام الأخلاقيين والمبرمجين على حد سواء.

إن الدعوة إلى التخليق في المشهد الفلسفي الحديث والمعاصر نجدها حاضرة عند العديد من الفلاسفة، من أمثال هايدغر وريكور وديريدا وليفيناس، وهو ما حاول سبينوزا في القرن السادس عشر الإفصاح عنه في كتابه "علم الأخلاق"، مع العلم أن هؤلاء وغيرهم استثمروا معاني إيمانية في فلسفتهم التخليقية، أو قل دعوتهم الأخلاقية، وهو ما يبرز حجم الأزمة الأخلاقية التي امتنع معها تأطير المعطى القيمي لحياة الإنسان، الأمر الذي دفع التفكير الفلسفي للقول باسترجاع القيم الغابرة والقيم الغائبة، إلا أن التفكير الفلسفي النسقي لم يستطع في الآونة الأخير مسايرة وملاحقة إفرازات العلم والتكنولوجيا، وهو ما جعل العالم يشهدا تغولا للآلة، من خلال العنف الذي تمارسه على الإنسان، خصوصا ذلك الذي يرتبط بتغييب الجانب الإنساني فيه، الأمر الذي يستلزم تعميق الوعي بأهمية الأخلاقيات التطبيقية عموما وأخلاقيات الذكاء الاصطناعي خصوصا في توجيه وتأطير الفكر والسلوك الإنساني، وهو ما يطمح هذا البحث بلوغه، بالاعتماد على المنهج الوصفي والتحليلي، مع استصحاب المستقبليات الاستشرافية، والمجازفة التخيلية التي تستدعيها مثل هذه البحوث.

والموضوع يطرح أسئلة عديدة، من قبيل: هل بمقدور الذكاء الاصطناعي أن يحول عالم الروبوتات الذكية إلى عالم موازي؟ وهل يمكن اعتبار الروبوتات الذكية كائنات أخلاقية؟ وهل يجب على الإنسان أن يتعامل معها أخلاقيا؟ وهل بإمكان الذكاء الاصطناعي تبادل الخبرات الأخلاقية وتفعيل الضمير والتذوق؟ وهل يمكن مناقشة مستقبل الذكاء الاصطناعي في ظل القيم الراهنة؟ وأي أخلاق يمكن أن تواكب هذا التحول؟ وأي مجتمع نريد في المستقبل بعد تلاشي حدود الذكاء الاصطناعي وحدود الذكاء الإنساني؟ ومن المسؤول عن الأضرار التي يمكن أن تنتج عن الذكاء الاصطناعي؟

وقبل ذلك كله ما هي الشروط الموضوعية التي دفعت العقل الأخلاقي لطرق موضوع أخلاقيات الذكاء الاصطناعي؟ وهل يمكن أن يعرف المستقبل انقلابا للذكاء الاصطناعي على الذكاء الإنساني؟ وهل يمكن الحديث عن ممارسة أخلاقية للذكاء الاصطناعي؟

المطلب الأول
الذكاء الاصطناعي والأخلاقيات التطبيقية: المفهوم والتاريخ والتعالق

إن اهتمام الفلسفة بالأخلاق[1] يمتد عبر تاريخها الطويل، وهو ما يؤكد على أنه نابع من كون الإنساني كائن أخلاقي، لذا فإن الأخلاقية هي التي تجعله يتميز عن الحيوان، ونلمس هذا الاهتمام في الفكر السفسطائي والأفلاطوني والأرسطي والرواقي والأبيقوري والقورينائي والكلبي...، كما نجد الاهتمام نفسه عند مختلف الأديان والحضارات الأخرى القديمة كالمصرية والصينية خصوصا في تعاليم كونفوشيوس، ومع تعدد آراء ورؤى هذه المدارس إلا أنهم نظروا إلى المسألة الأخلاقية باعتبارها جملة من القواعد التي ينبغي أن تضبط السلوك الإنساني وتحقيق كمال إنسانية الإنسان، وهو ما يجعل علم الأخلاق علما معياريا، من خلال البحث عما يجب أن يكون لا باعتبار ما هو كائن، وتطبيقه على ميدان من الميادين يحوله إلى علم تطبيقي يهدف إلى معالجة الإشكالات التي يطرحها معالجة أخلاقية، افترضا وتوظيفا وتحليلا وتأويلا، وعلى الرغم من كون مفهوم "الأخلاق التطبيقية" جديد في الساحة العلمية إلا أن تطبيقاته العملية موجودة في الحضارات القديمة[2]، ويمكن أن نمثل لذلك في الحضارة البابلية بقانون حمورابي (حوالي 2100 ق. م) فمن بين ما ركزت عليه شريعته تحديد أخلاقيات الطبيب والجراح بقوانين صارمة، الأمر الذي قد يجعل الطبيب يتعرض لعقوبات صارمة كقطع اليد في حال تسببه بأذى للمريض، وفي الوقت ذاته فهو يحدد مكافآت مغرية للطبيب جراء خدماته وتفانيه في عمله، وهو ما يتجاوز التنظيرات الأخلاقية المرتبطة ببحث مفهوم الفضيلة والسعادة واللذة والمتعة.

وتشهد لهذا الاهتمام إسهامات أبقراط وجالينوس التي اهتمت بالجانب التطبيقي الأخلاقي، كالاتصاف بحسن الخُلق، وكتمان سر المريض، وحسن الهيئة، وعدم طلب الأجر، ومقابلة المريض بالفرح... كما أن الحضارة المصرية عرفت اهتماما بالغا بأخلاقيات مهنة الطبيب سواء من خلال الشروط والمعايير التي تحدد ضوابط الالتحاق بهذه المهنة، كاختيار من يتصف بالحنان

والرأفة بالضعفاء، أو من خلال الأخلاق المؤطرة للمهنة كالاتصاف بمكارم الأخلاق والعطف على المريض.

ومن بين ما اهتمت به الفلسفة الأفلاطونية وما بعدها موضوع الانتحار، ومعاملة النساء، والأطفال الرضع، والسلوك الصحيح للموظفين، وتُظهر محاورة الجمهورية موقف أفلاطون من القتل الرحيم حيث يرى ضرورة إجهاض المرأة التي تحمل من سفاح، وهو ما يقر به أيضا أستاذه سقراط ويسميه التدبير الذاتي للموت بشرف. وفي الفترة الوسيطة نجد أوغسطين يتناول مسألة عدالة الحرب إذا كانت الحرب عادلة، وانتحار المرأة المسيحية لإنقاذ نفسها من الاغتصاب[3].

ومن الجدير بالذكر أن الفكر الإسلامي ساهم بدوره في بناء الأخلاق التطبيقية قبل بزوغ هذا المصطلح، بل وأفرد مجموعة من الميادين بالتناول، ويمكن الإشارة إلى كتاب "أخلاق الطبيب" للرازي، حيث نص فيه على جملة من الأخلاق الطبية، كأن يترك الطبيب اللهو ويحرص على تصفح الكتب، ووجوب معالجة الفقراء والأغنياء، والنهي عن إقامة التجارب على المرضى[4].

وفي هذا الصدد يؤكد ليفيناس[5] أننا تجربة إيتيقية في العلاقة مع الآخر، تجربة قوامها التعالي والطيبة والمسؤولية، وهذه الأخيرة علاقة أخلاقية تقوم بها الذات من أجل الآخر، حيث يقول: "يفهم قرب الغير على أنه قريب مني بالأساس، لكوني أشعر بما أنني موجود بأنني مسؤول عنه، إن بنية هذه العلاقة لا تشبه العلاقة القصدية التي نكونها في مجال المعرفة مع موضوع ما، أيا كان هذا الموضوع، حتى وإن كان إنسانيا، فليس مردُّ القرب هو كوني أعرف الغير لأن الرابط الذي يربطني به لا يتحقق إلا كمسؤولية سواء قُبلت أو رفضت، سواء عرفنا كيف نتحمل مسؤوليتها أو لا، سواء استطعنا القيام بشيء ملموس تجاه الغير أو لم نستطع ذلك"[6]. وبما أن ليفيناس يقر بأن "الآخر أهم من الذات"[7]، فإن هذا لا ينطبق إذا كان هذا الآخر هو آلة ذكية، الأمر الذي يدفع الفلسفة إلى التفكير في أخلاق رقمية تواكب الثورة التقنية.

ونجد أن ليفيناس نفسه يقول: "إنني أقر على عكس هيدجر بأن الفلسفة يمكنها أن تكون أخلاقية مثلما يمكنها أن تكون أنطولوجية، يمكنها في عملية الاستلهام أن تكون يونانية، وغير يونانية في الوقت نفسه وهذان المصدران للإلهام يتعايشان من داخل الفلسفة الحديثة لهذا فإن هدفي الخاص يتمثل في التعرف على هذين المصدرين للمعنى داخل العلاقة التفاعلية الإنسانية"[8].

ويمكن القول إن مهمة الفلسفة في التأطير والبناء تختلف بحسب السقف المعرفي لكل مرحلة، فإذا كانت الفلسفة في مرحلة سابقة أعطت للأنطولوجيا هذا الدور، وفي مرحلة ثانية أخذت الإبستمولوجيا لواءه، فإنه حان الوقت لصبغ هذا العصر صبغة إتيقية نظرا للمتغيرات التي تؤثث السياق الكوني التكنولوجي.

إن الأخلاق التطبيقية كتخصص مستقل ظهر في سبعينيات القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال فرع "أخلاقيات البيولوجيا" نتيجة للتطورات التقنية والقضايا الأخلاقية برزت بعد الحرب العالمية الثانية، كإجراء التجارب على الإنسان، والعدالة، وغير ذلك، الأمر الذي جعلها تدخل في دائرة التفكير الدولي[9].

بناء على ما تقدم يمكن القول إن البيوتيقا أو الأخلاقيات الطبية تعد الميدان الأول الذي عرف تدخل الأخلاق التطبيقية، عن طريق افتراض العديد الأسئلة والإشكالات المرتبطة بالطب وأخلاقياته، كالبحث في الخلايا الجذعية والجينات الوراثية، والهندسة الوراثية، والاستنساخ، وتأجير الأرحام... ثم توسعت هذه الأخيرة لتعم ميادين أخرى كالإعلام والبيئة والاقتصاد والتكنولوجيا... وهو ما يجعل الأخلاق التطبيقية صورة جديدة لما ينبغي أن تكون عليه الأخلاق في عصر التكنولوجيا، أي انتقال اهتمامها في دراسة السلوك من النظرة الفوقية والمعيارية إلى التطبيقية والواقعية، وقد ساهم مروق وشرود الإنسان عن الأخلاق في تعجيل ظهور الأخلاق التطبيقية كمفهوم جديد، لكن جذوره التاريخية تمتد عبر التاريخ الأخلاقي الفلسفي والديني.

يظهر أن الأخلاق التطبيقية فرع من الأخلاق يهتم بكل ما هو عملي، وتُوفِّر بيئة أخلاقية تهدف إلى خدمة الإنسان لكيلا تضيع مصلحته، أو ينفلت العلم من بين يديه فيتيه، وهو ما يجعلها ترافق القضايا والإشكالات الراهنة التي تحوم حول الإنسان، أي أنها أخلاق مصلحية تسعى لنفع الإنسان وخدمته، وهنا يظهر اختلافها عن القضايا الأخلاقية العامة كعدم الغش والصدق، والعدل، فهذه الأخيرة تتعلق بالعموميات والكليات العامة، فضلا عن تعلقها بالأخلاق الكلاسيكية المرتبطة بالخير والفضيلة والسعادة، فضلا عن كونها لا تستوعب أسئلة وأجوبة أخلاقية عديدة، كما هو الحال بالنسبة للأخلاق التطبيقية.

أما الذكاء الاصطناعي كمصطلح تركيبي فيرجع تاريخه إلى سنة 1956، في مؤتمر Drtmouth Summer School على يد McCrthy، ولكن كفكرة سبق هذا التاريخ من خلال مجموعة من البحوث، مثل بحث McCulloch and Pitts حول الشبكات العصبية، حيث بينا

فيه نموذجا يتعلق بالشبكة العصبية للمخ، وذلك سنة 1943، ثم تتابعت الدراسات في هذا المجال في الخمسينيات قصد ابتكار آلة تقوم بمجموعة من المهام البسيطة، وهو ما مهد لفكرة الآلة الذكية التي تحاكي العقل، رغم المحاولات الكثيرة التي باءت بالفشل، والذي يرجع إلى تعقيد الوصول إلى فعل المحاكاة، لكن في مرحلة السبعينات والثمانينات حدثت تطورات مهمة، كقدرة الآلة على الحركة والإبصار، والمعالجة الرمزية... والتي أثمرت في الأخير ثمرة في غاية الذكاء، والتي بدأ جنيها في التسعينات.

وما زالت الأبحاث مستمرة لتطوير تطبيقات الذكاء الاصطناعي، مثل الشبكات العصبية التي يتم فيها دمج العلوم الإدراكية مع الآلات، من أجل القيام بوظائف من خلال محاكاة الجهاز العصبي للمخ، وللوصول إلى ذلك يتم الاستعانة بعلم الأعصاب، ومن التطبيقات الأخرى التي تخضع للتطور باستمرار الربوتات الذكية، ففيها أيضا يتم الاستعانة بالعديد من العلوم كالهندسة الكهربائية، والهندسة الميكانيكية، والبرمجة اللغوية العصبية، وغيرها، ويستعمل تطبيق المنطق الضبابي في التحقق من صحة الفرضيات وتحليل الحالات والمعلومات غير المؤكدة، انطلاقا من محاكاة الفرضيات المنطقية للعقل الإنساني.

إن صعوبة تحديد معنى الذكاء الإنساني تتعلق بارتباط الذكاء بهوية الإنسان من عدمه، كما ترتبط بالميزان الذي يمكن أن نصل من خلاله إلى قياس منسوب الذكاء، فضلا عن السياقات والمجالات التي يمكن أن نصف من خلالها الإنسان بالذكاء أم بضده، ولئن كان الذكاء مقترنا بالحذق في الرياضيات في وقت سابق، فإن هذا المعطى سيتغير مع بزوع نظرية الذكاءات المتعددة على يد هاورد غاردنر، وهذه الصعوبة ستنعكس أيضا على تحديد معنى الذكاء الاصطناعي[10]، كما أن الانتقال من البشري إلى الآلي سيزيد بطبيعة الحال من تعقيد مهمة تحديد المفهوم التي هو محط نقاش في الأساس، بالإضافة إلى كل ذلك، يبقى وصف الآلة بالذكية محط تساؤل أيضا، لكن الواقع ذاته يشهد في كثير من الأحوال على صعوبة التمييز بين "الذكاء الإنساني" و"الذكاء الاصطناعي"، نظرا للتداخل الشديد بين الأدوار التي يقوم بها الإنسان والأدوار التي تقوم بها الآلة.

على الرغم من شدة التعقيد التي تطبع مفهوم الذكاء عموما والذكاء الاصطناعي خصوصا – مع أنه تمت مقاربته انطلاقا من حقول معرفية متباينة–، إلا أنه يمكن القول إن مفهوم الذكاء الاصطناعي يطلق على التقنية أو الآلة التي تتمتع بالاستقلالية في تنفيذ المهام التي صُمِّمَت

لأجلها، كالقدرة على التفكير والتعلم من التجارب المختلفة، مع قدرتها على التطوير بشكل تلقائي وذاتي، ومن دون الحاجة إلى تدخل الإنسان، وهذا ما يفتح المجال للآلة لاكتساب بعض الخصائص البشرية، ويمكن التمثيل لذلك بحفظ الخبرات والقدرة على اتخاذ القرارات الصائبة، والتواصل، وقد يتطور الأمر ليصل إلى ابتكار أشياء جديدة.

وقد حاول ألان تورينغ (Alan Turing) المتوفى عام 1954م، وضع اختبار المحاكاة ليفي بتعريف الذكاء الاصطناعي، عن طرق إبراز ما إذا كان للآلة قسط من الذكاء الإنساني، وهو يهدف بذلك إلى بيان ما إذا كان بإمكان الآلة أن تفكر، لكن محاولته انتقدت الطريقة التقليدية التي تنحو إلى تحديد المفاهيم، من قبيل: التفكير، الآلة... لأنها لن تفي بالغرض، بل قد تبدو سخيفة، لهذا قدم طرحا بديلا وهو "اختبار المحاكاة"، والذي تقوم فكرته الأساس على وجود أطراف ثلاثة:

- الطرف الأول: يتمثل في الآلة التي يُطلب منها القيام بمهام معينة.
- الطرف الثاني: يتمثل في شخص يُطلب منه القيام بنفس المهام التي تقوم بها الآلة.
- الطرف الثالث: يتمثل في الشخص الممتحن الذي سيقوم باختبار الطرفين معا، أن الآلة والإنسان.

يظهر في هذا الاختبار أن الطرف الثالث هو المُمتَحن، بحيث يتوجب عليه تحديد هوية الطرفين، وتمييز بين ما صدر عن الإنسان وما صدر عن الآلة، ولكي يحقق الاختبار الغاية منها فقد وضع تورينغ مجموعة من الشروط التي تجعل الطرف الثالث لا يميز بين طرفي الاختبار، كعدم رؤيتهما وعدم اعتماد الإجابة الشفهية أو المكتوبة مما قد يكشف هوية الآلة، ويمكن وصف الآلة بكونها ذكية في حال لم يستطع الطرف الثالث التمييز بين ما صدر عن الآلة وبين ما صدر عن الإنسان.

رغم أن تورينغ قدم هذه الاقتراحات مقياسا لتمييز الذكاء الاصطناعي عن الذكاء الإنساني، إلا أن استبعاده للمفاهيم اللغوية سيشوش على العملية برمتها إذا لم يتم ضبط مفهوم التفكير أساسا وكيفية تكونه، كأن يكون الدماغ أو القلب جزءا ضروريا من هذه العملية أم لا، وهذا الاختلاف المفهومي على هذا المستوى سينعكس على مستوى المنطق الأخلاقي الذي ينبغي أن يحكم أخلاقيات الذكاء الاصطناعي، الأمر الذي يجعل استصحاب هذا الغبش المفاهيمي في عملية التحليل الأخلاقي لمفاهيم الذكاء الاصطناعي مسألة معرفية ضرورية، خصوصا أن المفاهيم المستعملة في هذا الحقل لم تحض بإجماع المشتغلين في بلورة أسسه ونظرياته.

يمكن القول إن أخلاقيات الذكاء الاصطناعي جملة من القواعد الأخلاقية العملية التي تؤطر الممارسة العملية داخل ميدان التكنولوجيا وما يرتبط بها من أنشطة طبية واقتصادية واجتماعية واقتصادية... بفعل تطبيقات الذكاء الاصطناعي، وقد تتحول وظيفتها من التأطير إلى البحث عن حل المشاكل الأخلاقية التي يطرحها الذكاء الاصطناعي أو تطبيقاته، والتي تكون في جوهرها معالجات أخلاقية إنسانية، كما نطمح أن تكون هذه المعالجة الأخلاقية إلكترونية.

ويمكن النظر إلى أخلاقيات الذكاء الاصطناعي من جهتين، فأما الجهة الأولى فتسعى لإخضاع التقنيات الصناعية والروبوتات الذكية إلى معايير أخلاقية صارمة، بحيث يكون القصد منها حماية الإنسان وعدم إلحاق الضرر به، وأما الجهة الثانية فقد تعطل آفاق البحث في هذا المجال وتعيق تطوره، ما يدفعنا للتساؤل عن أي أخلاق نريد لمراقبة الذكاء الاصطناعي؟

إن التمسك بتطبيقات الذكاء الاصطناعي العديدة نابع من منسوب المعرفة التي يحققها للبشر وقدرته على حل مشكلات كثيرة والرفاهية التي قد يحققها، لكن هذا لا يمنع من وضع أخلاقيات لها لضبط تصرفاتها الآلية، مع الحرص على ألا تتحول إلى نقيض مقصودها، أو تصبح عقبة وراء عملية التطوير، مما يجعل خلخلة المنطلقات الأخلاقية التي ينبغي أن تؤطر الذكاء الاصطناعي أمرا ضروريا، لكن في الوقت ذاته لا ينبغي ترك فراغ أخلاقي من شأنه الدفع بالعقول الرقمية إلى الخروج عن سيطرة الإنسان.

المطلب الثاني
أخلاقيات الذكاء الاصطناعي بين السياسات الدولية والطموحات المستقبلية

إن الحديث عن أخلاقيات الذكاء الاصطناعي من المواضيع الراهنة التي تتجه إلى الاستواء على سوقها، خصوصا بعد الاتفاق على بعض الأطر التنظيمية الملزمة لاستخدام الذكاء الاصطناعي، وتعد مدونة "قوانين الروبوتات الثلاثة" الأخلاقية للذكاء الاصطناعي التي تقدم بها مؤلف الخيال العلمي إسحاق عاصموف من أوائل الأطر الأخلاقية للذكاء الاصطناعي، وقد تنبأ فيها بعض المخاطر المتوقعة لتطبيقات الذكاء الاصطناعي ذاتي التشغيل قبل تطورها، وتنص هذه القوانين الأخلاقية الثلاثة بعدما دعمها بقانون رابع "قانون الروبوتات الصفري" على الآتي[11]:

- ✓ لا يمكن للروبوت أن يؤذي الإنسان، أو يمتنع عن الحركة فلا يسمح بإيذاء الإنسان.
- ✓ يجب أن يطيع الروبوت الأوامر الصادرة عن البشر طالما أنه لا يتعارض مع القانون الأول.

- ✓ يجب أن يحافظ الروبوت على وجوده طالما أنه لا يتعارض مع القانون الأول أو الثاني.
- ✓ لا يجوز للروبوت أن يؤذي الإنسانية، أو يجب أن يمتنع عن الحركة فلا يسمح بإيذاء الإنسانية.

ثم تقدم مورفي وودز سنة 2009 بأول إطار علمي يتجاوز قصص عاصموف يرسم القوانين البديلة الثلاثة للروبوتات المسؤولة، وحددها في[12]:

- ✓ لا يمكن للإنسان نشر روبوت بدون وجود نظام تشغيل إنسان آلي يستوفي أعلى معايير السلامة والأخلاق القانونية والمهنية.
- ✓ يجب أن يستجيب الروبوت للإنسان وفقا لأدواره.
- ✓ يجب أن يتمتع الروبوت باستقلالية كافية للحفاظ على وجوده طالما أنه يضمن انتقالا سلسلا للسيطرة إلى وكلاء آخرين وفقا للقانون الأول والثاني.

إن هذه المحاولات التأسيسية لبنة أساسية إلى التفكير الجاد لوضع إطار أخلاقي قانوني للذكاء الاصطناعي، وهو ما دعت إليه القمم المنعقدة في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية الموطن الأكبر لشركات الذكاء الاصطناعي، ويمكن القول أن أهم وثيقة اعتنت بأخلاقيات الذكاء الاصطناعي تتمثل في اتفاق البرلمان الأوروبي والمفوضية الأوروبية والدول الأعضاء على وضع قانون إطار للحوكمة، وذلك في شهر دجنبر سنة 2023، والذي سبقته مسودة تأسيسية سنة 2018، بالإضافة إلى التوصية الخاصة بأخلاقيات الذكاء الاصطناعي المعتمدة من قبل منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) في 23 نونبر 2021، والتي تتضمن المحتويات الآتية[13]:

- أولا: نطاق التطبيق.
- ثانيا: الأغراض والأهداف.
- ثالثا: القيم والمبادئ.
- رابعا: مجالات العمل بشأن السياسات.

ويندرج تحت هذا المحور السياسات الآتية:

- تقييم العواقب الأخلاقية.
- الحوكمة الأخلاقية والإشراف الأخلاقي.
- السياسات الخاصة بالبيانات.

- التنمية والتعاون الدولي.
- البيئة والنظم الإيكولوجية.
- المساواة بين الجنسين.
- الثقافة.
- التربية والتعليم والبحث.
- الاتصال والمعلومات.
- الاقتصاد والعمل.
- الصحة والرفاهية الاجتماعية.

- خامسا: الرصد والتقييم.
- سادسا: استخدام التوصية والانتفاع بها وتطبيقها.
- سابعا: الترويج للتوصية.
- ثامنا: أحكام ختامية.

وهناك اجتهادات في المجال التداولي العربي، يمكن أن نذكر منها على وجه الخصوص ثلاث وثائق:

الوثيقة الأولى: وثيقة "دبي الذكية مبادئ وإرشادات أخلاقيات الذكاء الاصطناعي"، والتي تم التركيز فيها على المبادئ الآتية[14]:

- الأخلاقيات: حيث نصت على أن تكون أنظمة الذكاء الاصطناعي عادلة وتطبق الشفافية وخاضعة للمساءلة وقابلة للفهم.
- الأمان: إذ يجب أن تكون أنظمة الذكاء الاصطناعي آمنة كما يجب أن تسخر في خدمة وحماية الإنسانية.
- الشمولية: يجب أن ينفع الذكاء الاصطناعي كافة أفراد المجتمع، كما يجب أن تطبق عليه الحوكمة عالميا، مع احترام كرامة الأفراد وحقوقهم.
- البشرية: يجب أن يكون الذكاء الاصطناعي نافعا للبشرية وأن ينسجم مع **القيم** الإنسانية، على الأمدين القصير والبعيد.

الوثيقة الثانية: "مبادئ أخلاقيات الذكاء الاصطناعي" من طرف الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي، الإصدار الأول، شتنبر 2023.

والتي تنص على مجموعة من ضوابط وأخلاقيات الذكاء الاصطناعي، وهي[15]:

- النزاهة والإنصاف.
- الخصوصية والأمن.
- الإنسانية.
- المنافع الاجتماعية والبيئية.
- الموثوقية والسلامة.
- الشفافية والقابلية للتفسير.
- المساءلة والمسؤولية.

الوثيقة الثالثة: "الميثاق المصري للذكاء الاصطناعي المسؤول" الصادر عن المجلس الوطني للذكاء الاصطناعي، التابع لوزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، أبريل 2023، وتتضمن الوثيقة خمسة مبادئ رئيسة هي[16]:

- البشرية كمقصد.
- الشفافية والقابلية للتفسير.
- العدالة.
- المساءلة.
- الأمن والأمان.

يلاحظ أن مختلف هذه الوثائق المؤطرة لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي دوليا وعربيا تتفق على المبادئ والمنطلقات الأخلاقية نفسها، مع محاولة إضفاء البعد المحلي فيها في بعض الأحيان، كما أن الناظر فيها يستشعر الأبعاد النفعية التي يمكن أن يحققها الذكاء الاصطناعي للإنسانية في مستويات عديدة، ولكي لا يخرج عن هذه المقاصد تم رسم خارطة أخلاقية موجهة للوصول إلى تلكم المقاصد والغايات، كما أن بعض المبادئ الأخلاقية التي تؤطره تنص على مبدإ الإنصاف بين البلدان لكيلا تتسع الفجوات بينها ويبقى البعض منها خلف الركب، مع احترام رغبة المجتمعات في عدم المشاركة في التطورات التي يشهدها العالم المعولم.

وتُقر هذه الهيئات بمنافع تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي في مجموعة من المجالات والوظائف ومنها: توفير الرعاية الصحية لذوي الاحتياجات الخاصة والمرضى وتشخيص الأمراض وتحديد العلاج المناسب لها.

- ✓ القيام بالمهام المعقدة بسرعة وكفاءة عالية، بالإضافة إلى الأعمال الخطرة والشاقة، التي تكون فيها نسبة إلحاق الضرر بالإنسان عالية.
- ✓ جعل الحياة الإنسانية أكثر يسرا ورفاهية.
- ✓ إمكانية التدخل في مختلف جوانب الحياة (البيئة، والنظم الإيكولوجية، والصحة والتعليم، والأعمال، والترجمة، والاقتصاد، والقانون، والأمن، والصناعة، والبنوك، والنقل...).

لكنها تأخذ في الحسبان في الوقت ذاته العواقب التي يمكن أن تترتب عليه، والتي يتطلب التصدي لها أخلاقيا، مع إقرارهم في الوقت نفسه بأنه لا ينبغي لهذه المخاطر الأخلاقية أن تعيق مسيرة الابتكار والتطوير، وهو الأمر الذي قد يجعل الأخلاق المؤطرة للذكاء الاصطناعي غير أخلاقية في بعض أبعادها.

إن بحث أخلاقيات الذكاء الاصطناعي بحثا معياريا يعد ضرورة منهجية، لنظم إطار كوني يفتح أبواب التجسير القيمي بين مختلف الثقافات، يراعي الثابت والمتغير منها، مع دفع التحيزات والنزعات المركزية، من أجل ضمان حماية أمن للإنسان من جهة، وعدم تسخير نتائج الذكاء الاصطناعي في الفتك بالإنسان، كالتوظيفات الحربية له (كالطائرات المسيرة والأنشطة النووية)، خصوصا أنه لا يعد مشكلة واحدة، كما هو الحال بالنسبة للمشاكل المناخية والبيئية، لأن له سمة متفردة تتمثل في القابلية على التطوير والتحسين المستمرين الذاتيين، فالروبوتات الذكية تستطيع الاعتماد على نفسها في أداء مجموعة من المهام دون الحاجة إلى الاعتماد على المتابعة الإنسانية، وهذا ما يمنحها شخصية إلكترونية، كما أن روبوت (شات جي بي تيChatGPT) الخاصة بالدردشة أظهر بعض مخاوف الذكاء الاصطناعي التي كانت تبدو قريبة إلى الخيال منه إلى الواقع، مما يلزم بحوكمة الذكاء الاصطناعي وفق التدابير الأخلاقية الآتية:

- وضع إجراءات وقائية للتطورات المعاكسة للذكاء الاصطناعي، التي قد تصبح كارثية.
- القدرة على متابعة التحسن الذاتي للذكاء الاصطناعي أخلاقيا، بما يجعل حوكمته مرنة.
- إرساء سبل التعاون بين الأخلاقيين وشركات الذكاء الاصطناعي والحكومات، عن طريق وضع دبلوماسيات رفيعة المستوى.
- إحكام برمجيات الذكاء الاصطناعي لكيلا تخرج عن السيطرة، فانفلات واحد قد يتلوه انفلاتات أخرى أكثر خطورة.
- التفكير الجاد في الوصول إلى ذكاء اصطناعي مسؤول يراعي القيم الإنسانية.

- الاستفاضة في مناقشة بعض أشكال استغلال الذكاء الاصطناعي عن طريق النظر المصلحي، كاستعمال شرائح إلكترونية لتعزيز الذاكرة البشرية، بهدف الوصول إلى نسخة أكثر تطورا من الإنسان، أو ما يطلق عليه "الإنسان الفائق".

ومن أهم المخاطر الأخرى التي يطرحها الذكاء الاصطناعي توظيفاته لتجنيد روبوتات فتاكة تعمل بشكل ذاتي للاستخدام الحربي والعسكري، وأيضا إصدار أفعال عكسية وتَجاوزه للإنسان، خصوصا في مستوى الرقابة والأمن كاحتمالية ارتكاب الجرائم، والتضليل الإعلامي، وحماية البيانات وإساءة استخدامها، وانتهاك حقوق المستخدمين، بالإضافة إلى تقليل الاتصال البشري، وإضعاف الاستقلالية والحرية، وعدم القدرة على صنع القرار، وفقدان العمال لوظائفهم، والأنثروبومورفيزم أو التجسيد (انتقال الصفات البشرية إلى الروبوتات الذكية)، ولئن كان الهدف من ذلك خدمة الإنسان وتحقيق رفاهيته، فلابد من وضع قوانين برمجية أخلاقية احترازا من أي سلوك غير مسؤول ومن حدوث أي فوضى رقمية.

المطلب الثالث

أخلاق الذكاء الاصطناعي وذكاء الأخلاق الاصطناعي: في أفق التأسيس للتقنية التقية

إن الناظر في التطورات المتسارعة للذكاء الاصطناعي يقف عند ضرورة تأطيره أخلاقيا حتى لا يفتك بالإنسان، لهذا فإن الحاجة لأخلاق إلكترونية أصبح محط اهتمام الباحثين والهيئات الدولية، لكن الإشكال يتمثل في كيفية تخليق الآلة، فالسؤال الجوهري الذي يهمله الباحثون في مجال الأخلاق التطبيقية للذكاء الاصطناعي هو هل ينبغي تخليق الإنسان أم ينبغي تخليق الآلة؟ وهل بإمكاننا اليوم الحديث عن روبوتات متخلقة؟ يبدو أن نقل الشعور الأخلاقي إلى مجال الإلكترونيات والرقميات يعتريه الغموض، سيما أنه محط نقاش كبير في مجال الإنسانيات، وهو ما يجعل استحضار هذا المعطى ملحا في هذا النقاش الأخلاقي الإلكتروني، وذلك لأن الفعل الأخلاقي يزدوج فيه ما عقلي بما هو عاطفي، مما يجعل تخليق الآلة لا يتوقف على البرمجة الرياضية الصرفة، ولئن كان ذلك غير متحقق بصورة واضحة عند المبرمجين، فإنه يمكننا الانتقال إلى تحويل الأخلاق إلى لغة رياضية منطقية لترويضها على الانسجام مع العقل الاصطناعي، ليتلقاها بالقبول ويتمكن من تهذيب ذاته آليا، فصياغة ميثاق الأخلاقيات لا يتوقف عند مجرد

وضع قوانين أخلاقية مؤطرة للذكاء الاصطناعي، بل المطلوب أيضا أن يعمل المبرمجون على تطوير ذكاء أخلاقي للآلة، حتى يكتمل ذكاؤها فعلا.

إن تأسيس أخلاق ذكية اصطناعية سيجعل الفضاء السيبراني Cyberspace أكثر أمنا وأكثر تخلقا، وهذا يتوقف على مدى قدرة العقل البرمجي في صياغة أخلاق رقمية وصناعة مشاعر إلكترونية[17] تحاكي المشاعر الإنسانية، أو تتجاوزها لمشاعر أكثر طهرا، من خلال إغفال الشر الإلكتروني، وذلك لكيلا يتجاوز العقل الآلي العقل الإنساني. ومن شأن هذه القضايا الإلكترونية أن تستعيد المسائل الأخلاقية القديمة بصبغة رقمية جديدة، وهنا أقصد على وجه التمثيل، السعادة الإلكترونية، واللذة الإلكترونية، والمنفعة الإلكترونية، والخير الإلكتروني... وهذا قد يدفعنا إلى طرح السؤال الآتي: هل يمكن الوصول إلى ابتكار روبوتات ذكية أكثر تخلقا من الإنسان نفسه؟

هذا السؤال يرتبط بمدة قدرة العقل البرمجي على تحويل الأخلاق الإنسانية إلى قوانين وخوارزميات شعورية، بحيث يصبح الذكاء الاصطناعي المتخلق قادرا على التمييز بين الخير والشر، كما يستطيع التمييز بين الصواب والخطأ، وهو ما يمكن أن يسمح بابتكار **تقنية تَقِيَّة**، لكن تبقى المسألة الأهم هي هل من الضروري نقل التحسين الأخلاقي فقط للآلات الذكية؟ أم أن ذلك يستدعي أيضا نقل التقبيح الأخلاقي لها؟ وبما أننا نتحدث عن ذكاء اصطناعي **مُخَلَّق** فإن ذلك يقتضي التفكير في محاولة نقل الأخلاق الإنسانية بتمامها، وهذا أيضا قد يترتب عليه بزوغ إشكالات أخرى من قبيل إمكانية تجاوز الذكاء الاصطناعي للذكاء الإنساني والهيمنة عليه؛ بفعل القدرة الهائلة على التطوير الذاتي، مما سيدخل الإنسان في صدام مباشر مع الآلات الذكية.

إن توسع الجغرافيا الإلكترونية يستدعي رسم خارطة أخلاقية تمنع الإنسان حاضرا ومستقبلا من فقدان بوصلة الطريق إلى بلوغ إنسانيته، فضياعها سيجعله يتحول إلى مجرد آلة تحاكي الآلة التي قام بابتكارها، إن لم يكن الوضع أسوأ من ذلك فتكون الآلة أكثر ذكاء وإنسانية من الإنسان نفسه، وهذا لا يمنع من طرح الوجه الآخر المقابل للفكرة، وهو الأكثر سوءا، والذي يتمثل في هيمنة الذكاء الاصطناعي على الذكاء الإنساني والقضاء على هذا الأخير كلية، مما سيجعل الإنسان يتحول إلى عبد مقهورا في عصر ما بعد الحرية.

يترتب على هذا الخطر الرقمي المتوقع التفكير في الوصول إلى ابتكار ذكاء اصطناعي تقي وملائكي، يضع في عقله الأخلاقي الإلكتروني حدودا لا ينبغي له تجاوزها، ومن أهمها تلك التي قد تفتح الباب للمساس بإنسانية الإنسان أو تتجاوزه، وبذلك يكون هذا الذكاء الاصطناعي الوديع

خادما للإنسان والإنسانية، بعدما بُرمج على عدم إلحاق الأذى بالإنسان، مما سيجعل المنافسة تشتد بين المطورين للوصول إلى هذه النسخة الملائكية من الذكاء الاصطناعي، التي قد تكون مؤهلة في المستقبل لتخليق ناس رقميين في مختلف الميادين، كالبيئة والإعلام، والصحة، والتعليم، وهذا الصلاح الرقمي قد يتحول إلى صلاح واقعي إن أُحسن استثماره، وعندئذ سنتحدث عن تخليق الآلة للإنسان، بعدما كان كل تفكيرنا منصبا على تخليق الإنسان للآلة!

توجد عدة مشاكل قد تؤثر على الذكاء الأخلاقي للآلات الذكية اصطناعيا من قبيل ظهور رقميات لا أخلاقية تسعى لنشر الفايروسات والمعلومات الزائفة، وسرقة المعطيات الإلكترونية، وتخريب الأنظمة الرقمية، وعدم الاتساق الداخلي للأخلاقيات في النظام مما سيسبب في انهياره وعدم التوصل إلى نتيجة أخلاقية، وغير ذلك، الأمر قد يجعل عالم الرقميات يشهد نفس ما يشهده عالم الإنسان، مما قد يُعقِّد مهمة الحكم على بعض المسائل الإلكترونية أخلاقيا، فهل يمكن مثلا اعتبار جميع أنواع الاحتيالات الرقمية سيئة؟ وهل يعد انتهاك الخصوصية سلوكا أخلاقيا؟

هذه الأسئلة وغيرها تستلزم البحث عن الإطار الفلسفي الذي يمكن أن يؤطر عالم الرقميات، مما قد يجعل الأخلاق الكلاسيكية تعود مجددا لساحة النقاش بعدما تم تجاوزها، لأن الأسئلة المطروحة تقنيا لا تكاد تخرج بوجه من الوجوه عما قرره ستيوارت مل في نزعته النفعية، أو كانط في فلسفته الواجباتية، أو غيرهما من رواد الفلسفة الأخلاقية قديما وحديثا، لكن هذا يستدعي تجديد النظر إلى الأنطولوجيا، فبزوع الوجود الإلكتروني المتواري عن الأنظار يدفع إلى التفكير في تأسيس أنطولوجيا جديدة تستصحب كل ما إلكتروني ورقمي، وهذا الوجود الإلكتروني لا يمكن النظر إليه من خلال معطيات المنجز الفلسفي القديم، إلا أن يكون هذا النظر أخلاقيا، وهو ما يعيدنا إلى التأكيد على مركزية الأخلاق في الفكر الفلسفي المعاصر، نظرا لأهميتها في تأطير مختلف الحقول المعرفية.

يبدو أن عالم الآلات الذكية سيغير كثيرا من المبادئ المنطقية والفلسفية كمبدأ الثالث المرفوع ومقولات الزمان والمكان... فضلا عن بعض المبادئ الأخلاقية كأخلاق الوسط الذهبي الأرسطية التي قد لا تنطبق على أنطولوجيا الرقميات. وإذا ما أخذنا في الحسبان إمكانية تطوير الذكاء الاصطناعي، ربما نصل إلى روبوتات ذكية لا يتوقف دورها على فعل المحاكاة –حسب تعبير تورينغ– بل قد يصبح حديثنا عن نسخة متطورة من الإنسان من ناحية الذكاء الاصطناعي ولما لا الأخلاقي، لذا فإن الأبحاث في هذا المجال لا ينبغي أن تقتصر على الجوانب التقنية للذكاء

الاصطناعي بل ينبغي التركيز أيضا على الجوانب الأخلاقية له، الأمر الذي يجعل تأهيل المطورين والمبرمجين أخلاقيا أمرا في غاية الأهمية، من أجل أن يدركوا التحديات التي قد يخلفها أي تهور برمجي خارج نطاق الأخلاقيات الرقمية، ولكي تزول الغرابة والدهشة التي قد تظهر في هذا النقاش بالنسبة للمتلقي، فوجب أن يدرك أن حديثنا في هذا المقام هو داخل أنطولوجيا الرقميات لا بمفهوم الأنطولوجيا التقليدي الموروث عن الفلسفة اليونانية.

إن حديثنا عن الذكاء الأخلاقي للرقميات لا بد أن ينطلق من منظومة قيم معينة، إما دينية أو فلسفية، ومن ثم فالقيم التي ستؤطر الذكاء الاصطناعي ستكون لتلك المجتمعات التي انخرطت بقوة في إثراء هذا المجال تنظيرا وتطبيقا، لذا نجد من الباحثين[18] من وضع أخلاقيات للذكاء الاصطناعي أشبه بالوصايا العشر، وعليه فهذه دعوة للانخراط الجاد في مستقبليات الذكاء الاصطناعي، تطويرا وتخليقا، وتجدر الإشارة إلى أن التوصية الخاصة بأخلاقيات الذكاء الاصطناعي التي أصدرتها اليونسكو تُشدد على "وجوب إيلاء عناية خاصة للبلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل، ومنها على سبيل المثال لا الحصر أقل البلدان نموا والبلدان غير الساحلية والدول الجزرية الصغيرة النامية، إذ تملك هذه البلدان والدول قدرات بيد أنها ليست ممثلة تمثيلا كافياً في محافل بحث أخلاقيات الذكاء الاصطناعي، **ويثير هذا الأمر مخاوف بشأن إهمال المعارف المحلية والتعددية الثقافية ومنظومات القيم ومطالب العدالة العالمية فيما يخص إدارة الأمور المتعلقة بالعواقب الحسنة والسيئة لوسائل تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي**"[19]، وهذا ما يتطلب أيضا تعاونا مشتركا بين المبرمجين والأخلاقيين، من أجل ضمان مصلحة الإنسان وإحداث التوازن المطلوب بين القيم الأخلاقية الإنسانية لمختلف المجتمعات والابتكارات التكنولوجية الذكية. وهذا يحقق وضع ميثاق لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي من جهة، وتخليق الآلات الذكية من جهة ثانية، أي أن أخلاقيات الذكاء الاصطناعي عملية مزدوجة، كما أنها تواكب مختلف المتغيرات التي تظهر بفعل التطورات التقنية، وهو ما يجعلها أخلاقا مستدامة.

الخاتمة

يمثل الذكاء الاصطناعي تعبيرا واقعيا لرمزيات الخيال العلمي، فالروبوتات الذكية تجسد الإنسان الفائق الخيالي، لذا فإن الاسترشاد بالأخلاق التطبيقية في مقاربة فلسفة الذكاء الاصطناعي أمر هام في السياق التقني الآني والمستقبلي، لمعالجة المشكلات الأخلاقية التي تفرزها التكنولوجيا

بسرعة فائقة، رغم اختلاف المنظومة الاصطناعية التي تعتمد على الخوارزميات عن المنظومة الطبيعية المرتبطة بالجينات ومفاهيم أخرى من قبيل الروح والنفس والعقل، ومع ذلك فإن الحاجة ماسة إلى وضع أخلاق إلكترونية تؤطر التقنية المعاصرة، من خلال استحضار البعد التكاملي بين القيم الأخلاقية والذكاء الاصطناعي، فبعد إثبات الذكاء الاصطناعي لفعاليته العالية في العديد من المجالات: الرعاية الصحية، التعليم، الترجمة، الاقتصاد، الأمن... لم يعد من الممكن التخلي عنه، مما يتطلب حوكمته في إطار أخلاقي يستجيب لمبادئ الإنسانية، وهو ما بادرت إليه مجموعة من المبادرات الفردية، فضلا عن جهود المنظمات والهيئات الدولية، والتي أثمرت مجموعة من الأطر الأخلاقية المنظمة للذكاء الاصطناعي، كاتفاق البرلمان الأوروبي والمفوضية الأوروبية والدول الأعضاء على وضع قانون إطار للحوكمة، والتوصية الخاصة بأخلاقيات الذكاء الاصطناعي المعتمدة من قبل منظمة اليونسكو، ووثيقة "دبي الذكية مبادئ وإرشادات أخلاقيات الذكاء الاصطناعي"، و"مبادئ أخلاقيات الذكاء الاصطناعي" الصادرة من طرف الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي، الاصطناعي، و "الميثاق المصري للذكاء الاصطناعي المسؤول" الصادر عن المجلس الوطني للذكاء الاصطناعي.

ويبقى الطموح الأكبر هو تطوير الذكاء الاصطناعي من أجل ابتكار **التقنية التقية**، وذلك بتزويد الآلات الذكية بالأخلاق الإنسانية، وهذا يقتضي نقل العقل والمشاعر والأحاسيس الإنسانية إلى خوارزمياتها، وهو ما سيجعل الآلة مسؤولة عن أفعالها قانونيا نظرا لاستقلالها بشخصية إلكترونية معنوية، لتفادي أضرارها المحتملة، مثل: الهجمات العكسية للذكاء الاصطناعي، كالتضليل الإلكتروني والإعلامي، وتخريب الأمن المعلوماتي، وتجنيد الروبوتات لتوظيفها في الحروب والحملات العسكرية، ومختلف الهجومات الإلكترونية التي من شأنها أن تحارب الإنسانية بما كسبت أيديها، لكن تعقيد العقل الإنساني وبناءاته الأخلاقية والعاطفية يُعسِّر مَهمة المبرمجين والمطورين في نقل الأحاسيس والمشاعر للذكاء الاصطناعي، إذ لا توجد عقول متشابهة يمكن القياس عليها، فضلا عن تغير العقل الإنسان بفعل الزمن وبعض الممارسات، الأمر الذي يجعل إنشاء خوارزميات قادرة على محاكاة الجوانب الإنسانية أمرا غير متحقق في الوقت الراهن، في انتظار نتائج الأبحاث في علم الأعصاب والعلوم المعرفية... وفي باقي العلوم المتقاطعة، قصد البناء عليها لتطوير الذكاء الاصطناعي.

كما أن ارتباط الإنسان بمنظومة القيم الدينية والبعد الأخروي لها سيجعل التعامل مع الذكاء الاصطناعي وفقها ضرب من العبث، فلا يمكن مثلا التعامل مع الروبوتات بمفهومي الثواب والعقاب الأخرويين، وهذا ينطبق أيضا على القوانين الأخلاقية الوضعية التي ترتبط بالعقاب الجسدي، فلا يمكن معاقبة الآلة بها رغم شعورها وإحساسها بالألم، وهو ما يفتح النقاش في تأثير المفاهيم الإلكترونية في منظومة الأخلاق الدينية.

ويبقى الإشكال المفتوح متعلقا بإمكانية تقويم الذكاء الاصطناعي للأخلاق الإنسانية، بعدما سيصبح له ذكاء أخلاقي فائق.

التوصيات:

- توسيع دائرة النقاش الفكرية للتعامل الأخلاقي الخلاق بين الإنسان والآلة الذكية، عن طريق تحليل مختلف النظريات الأخلاقية بهدف الوقوف على بنية الأخلاق عند الإنسان، واستدعاء الموروث الفلسفي الأخلاقي في مقاربة الذكاء الاصطناعي انتقاءً وإبقاءً وإلحاقا، باعتباره معضلة من معضلات الفلسفة في زمن الذكاء الاصطناعي.
- الدعوة إلى استمرار البحث في الأخلاق الإلكترونية وأخلاقيات الهاكر بالموازاة مع تطورات الذكاء الاصطناعي، ودراسة إمكانية صدور بنية أخلاقية متطورة من الآلات الذكية، بعد تعميق البحث في الهوية الإلكترونية للآلات الذكية.
- إلزامية حوكمة الذكاء الاصطناعي في إطار أخلاقي يشترك في صياغته مختلف الفاعلين والهيئات والحكومات الدولية، بما فيهم المبرمجين والمطورين والأخلاقيين، وهو ما يستدعي التفكير الجاد في تخليق الذكاء الاصطناعي بالقيم الأخلاقية لكيلا تكون له ممارسات لا أخلاقية تقود الإنسانية إلى الهلاك.
- الاهتمام بمخرجات الدراسات المستقبلية وجلبها إلى ساحة الأخلاق التطبيقية، لتأسيس فرع أخلاقي استشرافي للمعضلات الأخلاقية، مع ضرورة انفتاح الأخلاق على فلسفة العلوم إمدادا واستمدادا، لتحديد القوانين الأخلاقية لدائرة الابتكار والاختراع بما يخدم مصلحة الإنسان.
- التوعية الأخلاقية لاستخدام الذكاء الاصطناعي سواء تعلق الأمر بأخلاقيات المبتكر والمطور أو أخلاقيات المستعمل، مع إلزامية وضعها ضمن البرامج التعليمية.

[1] ترجع كلمة الأخلاق إلى اللفظ اليوناني Ethic من إيتوس، وإلى الأصل الروماني Moral من مورس، وكلاهما يعني العادات الأخلاقية بوجه من الوجوه، وقد اعتادت الكتابة العربية على استعمال لفظ أخلاق بمعنى Moral، وأخلاقيات بمعنى Ethic، والفرق بينهما أن كلمة أخلاق Moral تشير إلى سلوك الفرد، بينما أخلاقيات Ethic تشير إلى القيم التي يخضع لها المجتمع. انظر: سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط:1، 2000، ص 17-20.

[2] في ذلك تنبيه إلى ضرورة التفريق بين ظهور المصطلح تاريخيا من حيث كونه مصطلحا، ومن حيث تطبيقاته وتوظيفاته قبل ظهور المصطلح، وهنا أقصد ظهور المصطلح بالفعل قبل ظهوره بالاصطلاح.

[3] انظر: مدخل إلى فلسفة الأخلاق التطبيقية، رحيم محمد الشياع، دار ابين الكتب - بغداد، ط:1، 2020، ص 40. وأخلاق البيوطيقا والقتل الرحيم، عماد الدين إبراهيم عبد الرزاق، ضمن كتاب الأخلاقيات التطبيقية، جدل القيم والسياقات الراهنة للعلم، ص127. وتاريخ الطب عند الأمم القديمة، عيسى إسكندر معلوف، مؤسسة هنداوي – مصر، 2021، ص25-26.

[4] انظر: أخلاق الطبيب، أبو بكر الرازي، تقديم وتحقيق: د. عبد اللطيف محمد العبد، دار التراث - القاهرة، 1397هـ/1977م.

[5] لا يخفى أن ليفيناس دارس للتوراة والتلمود بقسميه المشناه والجمارا، وكتب دراسات في ذلك، من قبيل: "دراسة التلمود"، الأمر الذي يظهر تأثير هذه النصوص في فلسفته الأخلاقية

[6] Levinas: éthique et infini, Fayard, Paris, P:103 .

[7] totalité et l'infini essai sur l'extériorité , Emmanuel L'evinas, Paris livre de poche، biblio essais, 1992, P:277.

[8] مدخل على فلسفة إيمانويل ليفيناس – من الفينومولوجيا إلى الإتيقا- إنسانية الإنسان، الحرب والعنف المدني، والإيتيقا، الموت، من أجل الآخر، الوعي غير القصدي...)، ترجمة إدريس كثير وعز الدين الخطابي، ط:1، 2003، منشورات اختلاف، الصخيرات -المغرب، ص 14.

[9] انظر: الأخلاق التطبيقية بين الفلسفة والدين، محمد محيي الدين أحمد، مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر، ط:1، 2018، ص 27.

[10] يرجع ظهور مصطلح الذكاء الاصطناعي إلى خمسينات القرن الماضي، وتحديدا في كلية دارتموث الأمريكية.

[11] انظر: Robots and Empire: The Classic Robot Novel, Asimov Runaround.، نقلا عن: المشكلات الأخلاقية المتعلقة بالذكاء الاصطناعي، نازان يشيل قايا، المجلة العلمية لرئاسة الشؤون الدينية التركية، 5، 2023، ص182-183.

[12] انظر: Beyond Asimov:The three laws of responsible robotics, Murphy-Woods, 14-20.، نقلا عن: المشكلات الأخلاقية المتعلقة بالذكاء الاصطناعي، نازان يشيل قايا، 2023، ص182-183.

[13] انظر: **Recommendation on the Ethics of Artificial Intelligence, UNESCO, 2022, p3.**

[14] انظر: دبي الذكية مبادئ وإرشادات أخلاقيات الذكاء الاصطناعي.

[15] انظر: مبادئ أخلاقيات الذكاء الاصطناعي، الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي، الإصدار الأول، شتنبر 2023.

[16] انظر: الميثاق المصري للذكاء الاصطناعي المسؤول، المجلس الوطني للذكاء الاصطناعي، وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، أبريل 2023.

[17] هناك بعض المحاولات لتحفيز المشاعر رقميا بالانطلاق من عاملي الحموضة والملوحة، فضلا عن الاستشعارات التي تعتمد على الخلايا العصبية، ومحاكاتها بالعصب الاصطناعي الذي يتيح للروبوتات الشعور والتفاعل مع المحيط الخارجي، وقد تم نقلها لعلاج بعض الحالات المرضية، كتفاعل الجسم مع الأطراف البديلة، في انتظار تعميق البحوث فيهما، والانتقال أيضا إلى التفكير الجاد في نقل المشاعر الأخلاقية والعاطفية للذكاء الاصطناعي من الناحية الفلسفية والفيزيولوجية.

[18] مثل محاولة فرجينيا شيا.

[19] **Recommendation on the Ethics of Artificial Intelligence, UNESCO, 2022, p7.**